بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

روى التّرمذي عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ لِآدَمَ: يَا آدَمُ إِنِّي عَرَضْتُ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ يُطِقْنَهَا، فَهَلْ أَنْتَ حَامِلُهَا بِمَا فِيهَا؟ قَالَ: وَمَا فِيهَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: إِنْ حَمَلْتَهَا أُجِرْتَ، وَإِنْ ضَيَّعْتَهَا عُذِّبْتَ، قَالَ: فَأَنَا أَحْمِلُهَا بِمَا فِيهَا، قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْأُولَى إِلَى الْعَصْرِ حَتَّى أَخْرَجَهُ الشَّيْطَانُ مِنْهَا**».

لقد كرّم الله الإنسان بالعقل وجعله أفضل مخلوقاته وأوكل إليه مهمّة الحفاظ على الأمانة التي عرّفها الكثير من المفسّرين بأنّها التّكاليف الشّرعيّة التي يترتّب على أدائها الثّواب وعلى تضييعها العقاب.

فأين هذا الإنسان ممّا استأمنه الله عليه؟ هل حافظ على هذه الأمانة أم فرّط فيها؟

يقول سبحانه وتعالى في أواخر سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**».

فالعذاب الشّديد لمن لم يتفكّر في هذا الكون، والويل لمن لم يتيقّن أنّ الله خلقه وكرّمه وبالتّفكير والعقل رفعه وميّزه وسخّر له الكون ليعيش فيه ويتدبّره. الويل لمن لم يَعِ أنّ لله الخلق والأمر وهو ربّ العرش العظيم. لا إله إلّا هو بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى محمّدا عليه الصّلاة والسّلام رسولا للنّاس كافّة يحمل إليهم الهدى والرّحمة ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. كان يحمل همّ الرّسالة ويذود عنها، كان حارسا لها بعزيمة لا يعتريها تردّد، كان صادقا مع الله المعزّ القويّ المتين الذي وعده وعباده الصّادقين المخلصين بالتّمكين والنّصر المبين.

ترك الرّسول ﷺ أمّة الإسلام خير أمّة تقود الأمم وتسير بالنّاس في طريق النّجاة تحقّق فيهم الأمن والطّمأنينة والرّحمة ولكنّها اليوم صارت في غير مكانها الطّبيعيّ فتخلّفت عن ريادتها وقيادتها وصارت في ذيل الأمم! فكيف رضيت خير أمّة بالدّونيّة والتّخلّف؟! أين هي من صِدقها مع الله في نصر دينه ورفع رايته؟! أين أمّة الإسلام من حملها دعوة رسولها وحفاظها على الأمانة؟! أين المسلمون وقد أُبعدت أحكامُ الإسلام عن حياتهم وصاروا يعيشون بأحكام من وضع البشر؟! أين هم ممّا يحيكه أهل الباطل لهم ولدينهم؟!

يعيش المسلمون بصفة خاصّة والنّاس كافّة ألوانا من العذاب في ظلّ النّظام الرّأسماليّ الذي ساد العالم وقاده. فالصّراع الدّوليّ لا يحسب حسابا لأطفال ولا نساء ولا شيوخ، ولا يبحث إلّا عن تحقيق مصالح الدّول العظمى فيما بينها ولو أدّى ذلك إلى إبادة الآلاف من البشر. فقد دأب القائمون على هذا النّظام الفاسد على نشر شرّهم في البرّ والبحر وحملوه للعالم بأسره؛ خرّبوا الحياة بسياساتهم الفاشلة التي سارت بالبشريّة في سبل عديدة ورمت بها في ظلمات الجاهليّة لعقود مديدة،

حادوا بها عن طريق الحقّ ففرّطت في شرع خالقها وغرقت في أوحال الرّأسماليّة التي ملأت الحياة بالحروب والفقر والمجاعات ونشرت في ربوع الأرض الفساد والنّكبات، يقول عزّ وجلّ: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

قبل مجيء الإسلام كانت البشريّة ميّتة، ولما بعث الله رسوله بالهدى ودين الحقّ أحياها الله بنور الإسلام وهديه ورحمته. فقد كانت تعيش في الظّلمات فأخرجها الإسلام منها وعاشت قرونا في ظلّه في رغد وعدل وأمن، لكنّ أهل الباطل مكروا بالليّل والنّهار ليعيدوها إلى تلك الظّلمات لتموت في ظلّ هذا النّظام الرّأسماليّ الفاسد.

فما يعيشه النّاس في ظلّ هذا النّظام من فقر وجوع ومن حروب ودمار نشرت رائحة الموت في كلّ مكان – وقد أظهرت الأرقام والإحصاءات بشاعتها– تجعل أعناقهم مشرئبّة باحثة عن حلول لما تعانيه من مشاكل أزمات.

نظرة خاطفة على أمثلة من هذه الأرقام لنسلّط الضّوء على فظاعة ما يرتكبه هذا النّظام الغاشم في حقّ البشريّة قاطبة:

- **فقر وجوع**

- في اليمن: حسب ما نقلته وكالة الأنباء اللّيبيّة بتاريخ ١٧ آذار/مارس ٢٠٢٣م فإنّ منظّمة الأغذية والزّراعة التّابعة للأمم المتّحدة (فاو) قالت إنّها تحتاج نحو ٧١ مليون دولار لتنفيذ أنشطتها ومواجهة انعدام الأمن الغذائيّ في اليمن خلال العام الحالي ٢٠٢٣، إذ يواجه الملايين الجوع في ظلّ استمرار الصّراع للعام التّاسع على التّوالي.

- في الصّومال: بالنسبة إلى عام ٢٠٢٣، فإنّ ثمّة توقّعات أن يصل معدّل الوفيات الأولي إلى ٠,٤٢ حالة وفاة لكلّ ١٠٠٠٠ شخص يومياً بحلول حزيران/يونيو ٢٠٢٣. ويعاني الصّومال للموسم الخامس على التّوالي من الجدب، وهذه أطول مدّة جفاف تضرب الصّومال في العصر الحديث، الأمر الذي خلّف خمسة ملايين شخص يعانون انعدام الأمن الغذائيّ الحادّ ونحو مليونيَ طفل عرضة لخطر سوء التّغذية. وتحتاج الأمم المتّحدة إلى أكثر من ٢,٦ مليار دولار أمريكيّ لتلبية الاحتياجات ذات الأولويّة لنحو ٧,٦ ملايين شخص في عام ٢٠٢٣، بحسب منظّمة الصّحّة العالميّة.

- **حرب ودمار:**

أكثر من ٥٠ مليون شخص يتأثّرون حاليا بالقتال داخل البلدات والمدن (الأمين العام للأمم المتّحدة، ٢٥ كانون الثّاني/يناير ٢٠٢٢).

– في سوريا: ما لا يقلّ عن ٣٠٦٨٨٧ مدنياً لقوا حتفهم في سوريا خلال الصّراع منذ آذار/مارس ٢٠١١ حسب ما أكّده مكتب حقوق الإنسان التابع للأمم المتّحدة في ٢٨ حزيران/يونيو ٢٠٢٢.

– في العراق: بحسب تقرير الشركة الألمانية "ستاتيستا" المختصّة في الإحصائيّات الدّوليّة والذي قامت بترجمته السّومريّة نيوز، فإنّ عدد القتلى المدنيّين الموثّقين في العراق من ٢٠٠٣ إلى نهاية ٢٠٢٢ بلغ ٢٠٩٩٨٢.

فأمام ما يحدث لا يمكن للمسلم – إن وعى على واقعه وفَهِم دورَه – أن يتنصّل من مسؤوليّته في تغيير هذا الواقع. فلا يتجاهل دوره في ذلك التّغيير ولا يتهاون إلّا من تملّكه الخوف أو باع نفسه مقابل حفنة من المال أو منصب! إنّ المسلم الصّادق لا يرى حياة طيّبة إلّا في ظلّ أحكام دينه، وإن وجد نفسه في ظلّ نظام آخر غير نظام ربّه تاق إلى الخير وعمل على استرجاعه واستئناف الحياة في ظلّه.

إن المسلم مسئول عن دينه ويتوق لأن يحمله للنّاس كافّة فلا يستطيع تجاهل وضع أمّة الإسلام ولا ما صار إليه حالها ولا التّفريط في الأمانة وترك النّاس في الظّلمات ولا يقدر على ذلك. قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**» وقال: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**».

هكذا هو حامل هذه الدّعوة الكريمة الطّيّبة بدءا بالرّسول ﷺ مرورا بصحابته وأتباعه، ووصولا إلى كلّ مسلم غيور على دينه لا يبدّله تبديلا ويعمل جاهدا ليعمّ كلّ بقاع الأرض فيعيش النّاس كما أراد لهم ربّهم. هكذا هو حامل دعوة الإسلام لم ولن تحلوَ له الحياة إن لم تكن مسيّرة بأحكام الله التي شرّعها له ربّه وخالقه.

فالفرصة عظيمة حتّى يعمل كلّ حامل لهذه الدّعوة المباركة ليكون بإذنه تعالى ممّن يدخلون الجنّة بغير حساب، الفرصة سانحة ليبذل من الجهد أوفره لا قليله ومن الوقت أعزّه لا فضلته وينفق ممّا يحبّ حتّى ينال ما يتمنّاه في الآخرة ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». وجاء عند البخاري من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنّبيّ ﷺ: "لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي". فَقَالَ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "فَإِنَّكَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي". فَقَالَ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**».

هكذا اكتمل إيمان عمر وهكذا يكون الإيمان على الوجه الصّحيح حين يكون الرّسول ﷺ أحبّ على حامل الدّعوة من كلّ شيء في حياته، أحبّ إليه من نفسه. حين يجعل حامل الدّعوة رسالة حبيبه المصطفى والذّود عنها ونشرها في أعلى سلّم أولويّاته، حين لا يرى الحياة حياة إلّا في ظلّ الأحكام التي وضعها الله لخلقه وأرسل نبيّه ﷺ ليعلّمها للنّاس فيعملوا بها ويهتدوا بنورها.

حين يستحضر يقينا أنّ الدّار الآخرة هي الباقية ولا تغيب عنه خشية الله وتقواه في السّرّ والعلن ويروّض نفسه على الطّاعات ويعوّدها على تحمّل الصّعاب طمعا في رضوان الله فينجح في سيره هذا في دعوته ويبلغ بها القمم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقُلْتُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ فقال: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد

إن حمل الدّعوة هو اصطفاء من الله عزّ وجلّ فلا بدّ من أن يوفّيها المسلم حقّها ومستلزماتها من دراسة لأحكام دينه فيتزوّد بالثّقافة الإسلاميّة ويسعى لنشرها ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يتّصل بالنّاس ويصحّح ما نشره النّظام الرّأسماليّ من أفكار فاسدة هدّامة ويكوّن بذلك رأيا عامّا يناصره دعوته للتّغيير الجذريّ القائم على الإسلام فلا يعيقه خجل ولا خوف ولا تقاليد. يبذل جهده وماله ووقته في سبيل تحقيق ذلك مستعينا بالله العزيز واثقا بنصره المبين ولو بعد حين. إنّه التّمحيص حتّى يقيم الله دينه من جديد نقيّا صافيا على أيدي عاملين صادقين مخلصين ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

هو امتحان طال فيه الطّريق وكثر فيه الأعداء وعلى حامل هذه الدّعوة أن يكون على يقين بأنّ الله أحبّه واصطفاه ليكون حاملا لدعوته الطّيّبة وعليه أن يسأل الله ويبتهل إليه ليلا نهارا أن يثبّته ويقوّيه ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾.

فالصّدق الصّدق في حمل هذه الدّعوة المباركة حتّى بلوغ السّعادة التي يرجوها كلّ مسلم؛ الفوز برضوان الله ودخول الجنّة. والثّبات الثّبات في كلّ حين وحال ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾.

إنّنا حملة هذه الدّعوة مدركون أنّها الطّريق الوحيد الذي يجب أن نسلكه حتّى ننجو وننقذ النّاس كافّة من هذا العيش النّكد. متأكّدون أنّ الحلّ لكلّ ما تعانيه البشريّة من مشاكل وأزمات هو في العودة إلى نظام ربّ العالمين؛ دينه الذي أكمله ونعمته التي أتمّها لنحيا في ظلّها في طمأنينة وأمن. نحن على يقين أنّه متى أخرج المسلمون الدّنيا من قلوبهم وصارت الآخرة أكبر همٍّ يرجونه ويعملون فقط للفوز برضا الله، حينها سيأتيهم نصر الله الذي وعدهم. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾.

قال الإمام ابن القيم: رحمه الله "من استقرّ في قلبه ذكر الدّار الآخرة وجزاؤها، وذكر المعصية والتّوعّد عليها وعدم الوثوق بإتيانه بالتّوبة النّصوح هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتّى ينجو".

فلنعمل بهذه القاعدة وليستقرّ في قلوبنا ذكر الآخرة وما فيها من جزاء ولنستحضر هول العذاب حين الإتيان بالمعصية ولنخش الله حتّى نلقاه ولا نسعد ولا نرتاح إلّا حين ننجو وندخل الجنّة التي وعد الله بها عباده الصّالحين.

جعلنا الله منهم وثبّتنا على دينه واستعملنا لنصرته.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾

كتبته للمكتب الإعلامي المركزيّ لحزب التّحرير

زينة الصّامت